من الاستشراق إلى العولمة

دبوبة صالح

الجماهيرية الليبية

لعل من ثاقلة القول أن العرب لولا الاسلام لم يكونوا فكراً يدرس أو ظاهرة لها أثرها.

ولست بصدد تتبع آثار الفكر العربي على الفكر الغربي، في مجالات العلوم وظـواهر الحياة، فتلك خصيصة حضارية .

و ما قصدت اليه في هذه المقالة ظاهرة أخرى، كانت صانعة للفكر ذاتـه، أو أداتـه الثاقلة الفاعلة في الفكر سلبا وإيجابا، تلكم الأداة التي مثلت الآخر في مقابلة الأنا، الـتي تنوعت نظراتها، وتعددت آراؤها أو رؤاها، أثّرت وتأثّرت، أَفْهَمَت وأُفْهِمـتْ، دافعـت ودُوفِعَ عنها ، كانت موضوعية عند بعضهم، ومنحرفة عن العلمية عند آخرين، ووقف بعضهم بين هذا وذاك وسطاً، إما لقصور في إدراك مرماها، أو انصاف لبعض ما أنجزتـه وبعض ما تقوم به.

ألا وهي: " الاستشراق " طلب علوم الشرق ولغاته ومعارفه، لأغراض شتى وبأدوات متعددة، وهي كلمة مولدة عصرية، تقال لمن يعنى بذلك من علماء الغرب"[1]

والغرب والشرق مصطلحان حديثان، جرياً فيه على ما أصطلح عليه الأروبيـون في عصر الاستعمار، من تقسيم للعالم إلى: " شرق، وغرب: يعنون بالغرب أنفسهم، ويعنون بالشرق: أهل آسيا، وأفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم، واستغلالهم وجريبنا نحن من بعد على هذا الاستعمال"[2].

---

1 – أحمد الشيخ رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان، 1958: 3 / 331.

2–محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط. 1، 1979 ص:5

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ولا ينفي حداثة الاصطلاح والاستعمال، قِدَم الدلالة والمفهوم لهذه الكلمة فقد كان في قديم الزمان قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة، أحدهما في الشرق، والأخرى في الغرب مرورا بالفرس والروم، ثم المسلمين والصليبين.

فالاستشراق إذن يمثل ظاهرة بارزة، من مظاهر التفاعلات الفكرية والصراعات التي قامت بين الشرق والغرب، أي أداة المعرفة في الثقافة الغربية وموضوعه الشرق بما حوى من معارف وعلوم وحضارات.

والمستشرق هو: عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[1]، فالاستشراق ميدان، والمستشرق هو العامل فيه.

والمصطلح في عمومه يعني دراسة الشرق بعامة، وفي خصوصه يعني دراسة الشرق العربي الإسلامي، وهو ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه، أي أننا نعني به دراسة الشرق العربي الاسلامي بخاصة، وبذا لم يعد يقتصر على الرقعة الجغرافية (الشرق) الذي يقابل الغرب، بل تجاوزها إلى غرب الجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، وذلك بعد الفتوحات الاسلامية، فعُدّت كل من مصر والمغرب وشمال أفريقيا، وما تعرب من سكان هذه الدول من الشرق، فشملها هذا الاسم باعتبار دينها الاسلامي، ولغتها العربية[2].

وقد حدد أحد المستشرقين الهدف العام لهذه الظاهرة المتمثل في العمل على إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي[3].

---

1 – أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي (1998/1418) ص 22.

2 – محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات الاسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط / 2، ص 12.

3 – دي بارت: الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، 1406/ 1986، ص: 11

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تنبه الكتاب العرب المسلمون إلى الهدف الرئيسي لهذه المؤسسة، وإلى الأخطار التي جرها على العَالَمَيْن العربي والإسلامي، ، خلال القرون الماضية والتي ما زال العالم العربي والإسلامي يعاني من فكرها وسمومها حتى اليوم، ولحظت عزية طه ذلك فقالت :

(وقد كان الهدف الرئيسي من إنشاء مؤسسات الاستشراق هو تزويد المنصرين بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله، كي يتسللوا إلى الدوائر العلمية الاسلامية من مدارس ومعاهد وجامعات، ليعيثوا فيها فسادا بجانب تصديهم لأبناء الدول الإسلامية، وإلحاقهم بهذه المؤسسات، والإشراف على تعليمهم وتوجيههم

فالاستشراق (ظاهرة) ماكانت تبرز لولا العرب المسلمون، لأن الاسلام هو الدين الذي أرعب أوروبا العصر الوسيط، وشكل لها خطراً هدد الكنيسة ورجال الدين المسيحي، فهبوا في وجهه يستعملون السيف لردعه، ويستخدمون القلم في نقده، فالحروب الصليبية جسدت مظهراً للصراع الحضاري بين الإسلام والغرب، عبرَ قرنين من الزمان، وعلى رقعة جغرافية عريضة، تمر بالأناضول، وتستوعب معظم بلاد الشام، وتلتهم كل سواحل البحر المتوسط الشرقي، ولا تنتهي إلا بتونس غرباً[2]، وكانت تلك الحروب الحل الذي قدمته الكنيسة في أول تصورٍ لها لردع حملة الدين الجديد، الذي أعتبر في المنظور الغربي آنذاك: (هرطقة)، مسيحية وأعتبر أتباعه منشقين عنها، كفرة، يطلب ردهم، وردعهم، وإعادتهم إلى رشدهم، ولعل ما جاء في خطبة: إربان الثاني، البابا الفرنسي، رئيس مجلس بياسانزا، عام: 1095م، والتي تعد أخطر وثيقة تكشف عن الدوافع الحقيقية للحروب الصليبية، وتعكس بشكل واضح صورة الإسلام والمسلمين في الوعي الكنيسي الغربي آنذاك، والتي يقول فيها: ((يا شعب الفرنجة يا شعب الله المختار. .. .. .

---

1 – من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، مجلس النشر العلمي الكويت، السنة: 6 العدد: 13، أبريل 1989، ص: 23.

2 – عبد الجبار الرفاعي: نحن والغرب، دار الهادي، بيروت لبنان، ط: أولى، 2002، ص: 19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاءكم من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أنه، أن جنساً لعيناً أبعدُ ما يكون عن الله، قد طغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين وخربها. .. .، فالدين يواجه الدين، والكنيسة تعلن المواجهة، وتحدد أساليبها وطرقها، ويستعطف اربان المخاطبين ويستميل قلوبهم ويزرع الأحقاد في نفوسهم على المسلمين، فيقول: ((طهروا قلوبكم إذن من أَرْدَان الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث، وتملكوها أنتم، إنّ أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، فردوس المباهج، إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أَنْ هبُّوا لانقاذها، فقوموا بهذه الرحلة، راغبين متحمسين، تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يفنى في ملكوت السموات والأرض))[1]، فالعودة الأولى للمواجهة كانت على أيدي رجال الكنيسة من بابوات وأساقفة، ورهبان، حيث كان رجال الدين يومئذ يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا[2].

وفي فضاء هذا الصراع الطويل ولد الاستشراق، الذي كان أداة التعبير عن نظام معرفي، تولى تشكيل الصورة النمطية في الوعي الغربي، هذة الصورة التي كانت في معظمها أوهاما وأساطير حول الشرق وتراثه وتاريخه ومعارفه، و لم تسلم الكنيسة في دورها لمواجهة العدو الزاحف من الشرق، وإن رأت أن المواجهة بالسيف لم تعد مجدية مع رجال لم يثنهم سيف ولا قوة عن تأدية مهمتهم، والقيام بدورهم لنشر الدين الجديد، والدفاع عنه.

ففكرت في خطوات أخرى، أو طريقة يمكن من خلالها قهر العدو الكافر، وصدّ خطره عنها، وهذا ما كان واضحاً في كتابات المستشرقين، وقد بدأ على يد الرهبان

---

1 - ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، تونس، بيروت، دار الجيل، (1408/ 1988)، ص: 15، 16.

2 - عبد الجبار الرفاعي: مصدر سابق، ص: 104.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذين كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويحرفوا حقائقه، ليثبتوا لجماهيرهم والتي تخضع لزعامتهم الدينية، أن الإسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الفكر الغربي، دين لا يستحق الانتشار، وأنّ المسلمين قوم همج، لصوص، وسفّاكي دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

وكان منطلق هذه الأداة الفكرية: (بدير كلوني)، جنوب فرنسا، وعلى يد: (بطرس المبجّل)، أو رئيس ذلك الدير، الذي توجه إلى ترجمة كتاب المسلمين المقدس: (القرآن الكريم)، وقد رآه مصدر قوتهم، ومبعث هويتهم، فكانت ترجمة القرآن إلى اللاتينية، عام: 1143 على يد يهودي متنصر يدّعى: (بيدرو الفونسي)، أو العبري، أو الطليطلي، وبمعاونة هرمان الأرماني: (وروبرت أوف جستر)[1]، وإنّما نسبت هذة الترجمة إلى: بطرس المحترم، رئيس الدير لأنه الذي أمر بها.

وقد منعت الكنيسة في روما طباعتها ونشرها، خوفاً من تأثيرها المضاد على المسيحيين أنفسهم، رغم ما بها من تحريف، يصل إلى درجة العبث الذي يلحق الخزي والعار بالقائمين بها.

فولادة الآداة الناقلة للفكر العربي الإسلامي كانت على يد الكنيسة، وهذا يعني أن الهدف الديني كان المسيطر الأول على توجهات المستشرقين في نقلهم للتراث، والتعبير عن الصورة الفكرية والعربية، والإسلامية، في الأوساط المسيحية، لمواجهة هدفين اثنين:

أولهما: دفع المسيحيين نحو نبذ هذا الفكر، وحملته من العرب المسلمين ووصفهم بأبشع النعوت، حماية لهم من الدخول فيه.

---

1 – العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، 1965، 1 / 122، 123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيهما: إحداث ردة في صفوف حملة الفكر الجديد من المسلمين، وصرفهم عن رابطهم الديني الذي أحدثوا بواسطته سيطرتهم على ربوع شاسعة من الكرة الأرضية، من الأندلس غرباً، وحتى تخوم الصين شرقاً.

وللقيام بهذه المهمة كان لابد من التوجه إلى:

البحث عن السلبيات، والعورات وإبرازها، والتركيز عليها.

بث ما يمكن بثه من القصص، والأساطير، والخيالات المنفره من هذا الفكر وحملته، والتقليل من أهميته، وإبراز أنه لايعدو أن يكون إعادة في ثوب جديد للحضارة اليونانية.

وفي هذا الشأن يقول (دي لاسي أوليرى) : (والحقيقة أن الثقافة الإسلامية هي في الأصل جزء رئيسي من المادة الهيلنية الرومانية، وحتى الفقه الإسلامي قد صيغ وتتطور من أصول هيلينية. وأن قوته العظمى تتركز في أنّه قد عرض المادة القديمة في شكل جديد كلياً)[1].

ولسنا بصدد جرد وحصر ما قامت به المؤسسة الاستشراقية خلال الفترة المبكرة، فذلك يرجع إليه لمن طلب المزيد، لأمهات الكتب التأريخية للحركة ذاتها التي كتبت بأقلام روادها، أو التي تولى كتابتها من تولى الرد عليها من مفكري العالم العربي الإسلامي، ولكننا نود أن نطلع على الصورة العامة للكتابات الاستشراقية، والمناهج العامة المتبعة، التي ساهمت في رسم الروح الجدلية العدائية للإسلام والمسلمين، وفكرهم إبّان النشأة الحقيقية للإستشراق المتمثلة في: (إنشاء أقسام علمية، وكراس أستاذية، لدراسة اللغة العربية والإسلام، أي أن منهج الاستشراق كان يقوم على دراسة الإسلام: لغة، وعقيدة، وشريعة، وقرآنا وسنة، وحضارة وتأريخا، للهجوم عليه. .. أي أن المؤسسة

---

1 – الفكر العربي ومركزه في التاريخ: ترجمة: اسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط: أولى سنة: 1972، ص: 6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستشراقية في هذه الفترة المبكرة كانت تعمل لحساب الكنيسة، وليس لحساب العلم، والبحث عن الحقيقة المجردة عن الهوى الخالصة من الغرض)[1].

وإن كانت أوروبا قد تخصلت إثر الثورات التي حصلت بها، والانطلاق المادي المتمثل في الثورة الصناعية الكبرى التي شهدتها من سلطان الكنيسة، وتخلص المستشرقون كغيرهم من هذه السيطرة أيضاً إلا أن ذلك لا يعني أنّهم تخلّصوا نهائياً من الأفكار التي شبّوا عليها وأنشأتهم الكنيسة وعلى أساسها، فمعظمهم لم يتخلصوا من: (التقاليد التي نشروها سابقاً، والمناهج التي تتلمذوا عليها، والأفكار والآراء والتصورات والمشاعر، والأحكام التي تشبعوا بها منذ نشأة الاستشراق)[2].

وتطور الحال بهذه المؤسسة الناقلة للفكرالعربي الإسلامي إبان مرحلة السيطرة أو الهيمنة الاستعمارية الأروبية على الشرق، وتكوين المستعمرات في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، فقد اضطرّ المستشرقون للانحياز، وتأييد موقف بلدانهم الاستعمارية، وكان أن سخّر كل منهم معلوماته ودراساته وأحكامه لخدمة الهدف الاستعماري، وبذا أصبحت المؤسسة الاستعمارية الأروبية أحد رعاة هذه الحركة التي تستفيد من خدماتها، مما حدا ببعضهم لنقد هذه التبعية ممن حاولوا إخراج هذه المؤسسة عن تبعيتها التي أدت بها، وفي معظم كتاباتها إلى

الخروج عن المسار العلمي الحقيقي، يقول عن ذلك: (stephanwild) (ستيفان وايلد)، (والأقبح من ذلك أنّه يوجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين، سخّروا معلوماتهم عن

---

1 - محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة تحليلية تقويمية، دار الفكر العربي، بيروت لبنان إيداع سنة: 1993، ص: 7.

2 - م، ن، ص: 9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة)[1].

فالتبعية كانت سمة هذه الحركة منذ نشأتها، والدليل أن العالم الحديث وإثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتحول مركز الثقل وقيادة العالم من أوروبا إلى أمريكا، فإن رجال الاستشراق يُمِمُوا وجوههم شطر أمريكا.

واجتذبت هذه القوة الجديدة، الكثير من المستشرقين الأروبيين إليها، ما يمكن أن يطلق عليه طور جديد من التبعية المعاصرة.

وقد وظفت هذه القوة الجديدة الاستشراق، ورسمت له الخطوط التي جعلته يسير في فلكها، وتحت رعايتها، فما سمي ب: (سياسة العلاقات الثقافية) إلا نموذج من تلك الخطط للسياسة الثقافية، التي تسعى هذه القوة لإدارة العالم من خلالها، وقد أفصح عن ذلك: " mortimer Graues "مورتا يمر "قرافز"، في النصف الأول من القرن العشرين، بقولته الشهيرة: (إن العملية الهائلة بتجميع المطبوعات المتميزة في لغات الشرق الأدنى، المهمة الصادرة منذ: 1900 وحتى 1950 م، والنظر فيها وفحصها، يتعلق بالأمن القومي الأمريكي، وهو من أجل فهم أمريكي أفضل، للقوة التي تناوئ أو تنافس الفكرة الأمريكية، وأهمُّ هذه القوى المناوئة لأمريكا في المنطقة، قوتان هما: الشيوعية، والإسلام)[2].

وليس خافياً على أحد أن الفهم الذي كوّنته هذه القوة عن الشيوعية، كان وراء سقوطها واندثارها، والعمل جارٍ على قدم وساق نحو هدم المناوئ الآخر: ألا وهو الإسلام وفكره كما ازداد الاهتمام برجال الاستشراق من قبل الحكومات الغربية المتعاقبة حتى تتمكن كل إدارة من تنفيذ مستهدفاتها والقيام بتحقيق مصالحها، يقول نجيب

---

1 - م، ن، ص:10

2 - م، ن، ص: 10

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العقيقي: (فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية، بدول الشرق والاغتراف من تراثه، والانتفاع بثرائه، والتزاحم على استعماره، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها، فضمهم ملوكها إلى حاشيتهم أمناء أسرار وتراجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية، إلى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللغات الشرقية، والمطابع الوطنية، وأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرف، وعضوية المجامع اللغوية)[1].

وبهذا التوجه لا ينفك الاستشراق عن مهمته التي انيطت به ليكون معبراً عن: (أيدلوجية) خاصة (يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام وفكره، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق، أو مرتكزة على أوهام وافتراءات)[2].

ولا شك أن التجديد في الوسائل يراد منه الإخضاع والتبعية التي لا يمكن أن تتم بالتحكم العسكري وحده، وأن التحكم العسكري قصير العمر مهما طال، لذا كان الغزو الفكري[3] والتبشيري هو المرحلة التي كشف الفكر الغربي دراساته حولها، حتى يتم له ما أراد من مسخ للأمة وتراثها، وفكرها في مجمله.

ولا شك (أيضاً أنها من أخطر المراحل، بل هي الحرب الحقيقية الشرسة التي لاتهدف إلاّ إلى هدم المنشآت وتمزيق الجيوش، وتحطيم العزائم، وطمس المعالم، وتعمية الطريق، وبذلك يضمنون الخضوع من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحاً)[4].

---

1 - المستشرقون: مصدر سابق، ص: 1149.

2 - محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، كتاب الأمة قطر، 1404 ه، ص: 12.

3-حسين ضياء الدين: الاستشراق، مجلة كلية الشريعة، العدد الخامس، مكة المكرمة، 1401، ص: 26

4-عبد العظيم الذيب: المستشرقون والتأريخ، مجلة البعث الإسلامي، عدد 3، ص: 143

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأدل على أن هذه الأداة لا زالت تستعمل المناهج ذاتها وتسير على الطريق ذاتها في تشويه الإسلام وأهله، ما تقوم به وسائل الإعلام الغربية اليوم، من تشويه لصورة الإسلام والمسلمين، من خلال آراء ومذاهب وحركات منبوذة من محور الفكر الاسلامي المنير بهداية القرآن وارشاد السنة.

وما العولمة إلا مظهر من مظاهرالاستعمار الحديث تقوم في محور من محاور بنيتها على فكر الاستشراق والمرتبط به اشد الارتباط وهي إحدى الترجمات للكلمة الانجليزية (GLOBALIZATION)[1] وهي كلمة مولدة من " عالم " وفعلها على هذا هو "عولم"، "يعولم " ، "عولمة " ووزنها "فوعل" في العربية أي ان فاعلاً يفعل بمعنى التحول والفرض، والاضافة (LZATION) تعني عملية تحول من الخارج ضد " LIBERLISM" ليبرالية و"MARXISM " ماركسية و" HUMANISM " إنسانية فإن التحول فيها يكون داخلياً اعتماداً على دينامية ذاتية.

وهو ما يفرق أيضاً لفظه: " GLOBLISM " "العالمية " عن (GLOBALIZATION) العولمة، ففي اللفظة الانجليزية ما يوحى بالعمل مع توحيد بنى الانسان على كوكب الارض، وفق اطروحات النظام العالمي الجديد، ولا يختلف هذا المنهج عما أرتأته الكنسية في القرون الوسطى، من مهمة نشر ثقافتها وردع من رأت فيهم خطراً يهدد وجودها وكأن الاهداف لم تنفذ مما تطلب تغيراً في الوسائل " وتكتيكا " في الاسلوب، فالديمقراطية وحقوق الانسان، وتعدد الاحزاب هي رؤوى رأسمالية الغرب لتحقيق هذه السيطرة والدس والتشويه، الذي سعت اليه الكنسية من خلال أداتها الاولى الاستشراق، والمفهوم الاصطلاحي للعولمة يتسم بالتعدد والسعة ليشمل الاقتصاد والسياسة والاجتماع والاستراتجيا، التاريخ، الثقافة، وهو ما يبرز تعدد وتنوع عبارات الباحثين فيها حسب

---

1 - منير البعلبكي: قاموس المورد، انجليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط34، 2000، ص390.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفهوم كل منهم، كما أن التعدد والتوسع في المفهوم الاصطلاحي، قد حدا الباحثين إلى محاولة تحديد جذورها واهدافها فمنهم من يرى أنها وليدة المبدأ الرأسمالي واحدى افرازاته الفكرية[1].

ويكاد ينطبق تحديد بعض الباحثين للعولمة بأنها الغاء لمصدرية المعرفة المستقلة لدى الامم السابقة[2] مع مفهوم الاستشراق وهدفه وان تغيرت الوسائل واختلفت الاساليب، ولم يكن العمل على الغاء المصدرية المعرفية للأمم السابقة هدفاً طارئاً على الغرب او العالم بأسره، فما مارسته الكنيسة المسيحية ضد الاسلام والمسلمين يعود إلى القرون الوسطى، وبنظرة فاحصة للمراحل التي حدد بها الباحثون جذور العولمة ومراحلها[3]، يتضح جليا مدى الارتباط الوثيق بين ما سعت اليه الكنيسة بأداتها الاستشراق، وبين ما تسعى اليه العولمة اليوم بأداتها "التكنولوجيا""ان العولمة كما يرى كثير من الباحثين لم تكن ظاهرة طارئة ولا هي قطعية ثورية مع الماضي القريب، فهي عملية تاريخية يمكن العودة بها إلى اكثر من خمسة قرون مضت)[4] وهي المدة التي بدأت فيها ظاهرة الاستشراق بالمفهوم الاكاديمي، والعولمة في بعدها الثقافي تعني " الامتداد الخارجي من الثقافة المحلية في أقصى

---

1 – آدم مهدى أحمد: العولمة وعلاقتها بالهيمنة التكنولوجية، الشركة العالمية للطباعة، 2001 م، ص30

2 – على حرب: الثقافة والعولمة، بمجلة الشاهد، شركة الشاهد المحدودة للنشر، نيقوسيا، قبرص، العدد 159، السنة 12، نوفمبر 1998 ص 83.

3 – انظر رونالد روبرتسون: العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية ، ترجمة احمد محمود ونور أمين، المجلس الأعلى للثقافة 1998 م، ص 132. انظر: محمد سالم الحاجي: ظاهرة العولمة الاقتصادية: دار الكتبي، دمشق، سوريا، ط اولى، 2001 م، ص 19.

4 – محمد الفرجاني حصن، افريقيا وتحديات العولمة، المكتبة الجامعية، غريان، ط ثانية 2003، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدودها إلى العالم اجمع، وتصحيح الثقافات الوطنية، فالثقافة المحلية تنهار نتيجة للضغوط التي تمارس عليها من الخارج[1].

وهو ما عبر عنه بأنه انطلاق فيض ثقافي من بلدان المركز يجتاح الكرة الارضية على شكل صور، كلمات، قيم اخلاقية، قواعد قانونية، مصطلحات سياسية، معايير، كفاءة. .. ليجتاح العالم الثالث من خلال وسائل الاعلام المتمثلة في إذاعات، تلفزيونات وأفلام وكتب واسطوانات فيديو، واطباق استقبال فضائية. .. عبر سوق المعلومات التي تحتكرها الوكالات العالمية"[2].

واستخدمت في ذلك، الاداة الجديدة للعولمة " التكنولوجيا " التي تميزت بالقدرة والسرعة والتوسع الذي استغرق العالم بأجمعه وهو ما يفرق بين الاداة الأولى للكنيسة ، حينما استخدمت رجالات الاستشراق والتبشير ووسائلهم المتاحة آنذاك عن الاداة الجديدة للامبريالية العالمية ووسائلها اليوم، فالتشويه المتعمد مقصود لم يتغير الا في الوسائل والادوات، وما قامت به وسائل الاعلام الامريكي بخاصة والغربي بعامة حديثاً يؤكد اتحاد الهدف واستمرار المخططات، وان تنوعت الوسائل وتغيرت الأساليب.

ففي أواخر الثمانيات تولت " هوليود" عمليات التحضير لإبراز صورة " العدو الاسلامي "بوصفة بديلاً للشيوعية المحتقره علىشكل افلام " THE DELTA FORCE " والمنتقم 1986 "والموت قبل العار" عام 1987 م، وسرقة السماء عام 1988 م، والتي يتم

---

1 - م، ن ص 59.

2 - م، ن ص 62، عن الشيخ محمد بن اسماعيل: ندوة: هويتنا الاسلامية، مجلة البيان عدد 129 ص 117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيها ابراز دور الغربي الطيب المدافع عن حقوق الانسان لتخليص البشرية من شرور العدو الاسلامي الخارق المالك لأسلحة تدميرية شاملة يهدد بها الابرياء[1].

بل وصل الأمر إلى تصريح " هنري كيسنجر " وزير الخارجية الامريكي الاسبق في ربيع 1990 م، قائلاً "ان الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الاسلامي بإعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب "[2]، وهو ما ينطبق تمام الانطباق مع ما دعا اليه البابا الفرنسي " أربان الثاني " عام 1095 م، وما يتم طرحه من خلال الكتابات الغربية اليوم لا يزيد عن كونه استمرار لهذا التصريح وذاك النداء، فزعم "فرانسيس فوكوياما " في كتابه نهاية التاريخ حين قال: (ان الحضارة الامريكية قد وصلت إلى مستوى من الرقي والتقدم لا يمكن ان يبلغه أى انسان في أي زمان ومكان. .. وان صانع هذه الحضارة هو أرقى وأعلى سلالة بشرية يمكن ان تخرج إلى الوجود)[3]، هذا الزعم وهذا التأبيد لايمكن ان ينم الا عن عمق الارتباط بالحقد الكنيسي على حضارات الشعوب الاخرى والاسلام في اولها والادعاء بأن صانع هذه الحضارة التي يؤمن بها بأنه أرقى وأعلى سلالة بشرية يمكن ان تخرج للوجود يدل على الفكرة المركزية الاروبية والتعالي الايديولوجي الذي تحدث عنه "توماس فريد مان " في "نيويورك تايمز"

---

1 – انظر: علي بن محمد العجلة: جناية هوليوود على العرب والمسلمين، مجلة منار الاسلام، العدد 11، السنة 27، ذو القعدة (1422/ يناير فبراير 2002)، ص7.

2–انظر: علي بن محمد العجلة: لماذا هذه الضجة حول التعليم الديني؟ مجلة منار الاسلام، وزارة العدل والشئون الاسلامية، أبو ظبي، الإمارات، العدد 12، السنة 27، ذي الحجة (1422/ فبراير مارس2002 ص6

3 – البهلول على منصور: الاعلام الاسلامي والعولمة، (رسالة ماجستير)، جامعة السابع من ابريل، قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية، غير منشورة، ص93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2001/11/27 عندما كتب (نحن نحارب الهزيمة الايدولوجية فحكم الحزب الديني لايمكن ان يقاتل الجيوش وحدها بل يجب ان يقاتل في المدارس والمساجد والكنائس)[1] .

وكتاب " صدام الحضارات " ل " صمئويل هنتجتون " الذي قدم من خلاله المبرر العلمي لسحق الثقافات والمنظومات القيمية للحضارات الاخرى لفرض ثقافة وفكر القطب الواحد وتحت شعارات مختلفة تأثراً بمن قبله " ارنولد توينبي " 1947 في محاضرته " الصراع بين الحضارات " والتي جاء فيها ان القرن العشرين حسب رأيه تميز بعصر " الصدام بين الحضارة الغربية والمجتمعات الأخرى " وهو يرى ان ذلك بداية المسيرة لتوحيد العالم، ليدل على الاستمرار المؤكد للسير على مقولات الاستشراق الاستعمارية جوهراً وان كان ثقافياً إنسانية مظهراً[2] ، هذا الكتاب يمثل الاستمرار المؤكد لمقولة الاستشراق وأهدافه، والذي لم يخالفه الفكر الغربي الحديث من خلال إطروحاته الجديدة أسلوبا والقديمة مغزى فالحتمية والتأبيد الذي اصبح واضحاً عند دعاة العولمة هو اسلوب جديد يقطع الصلة بين الشعوب وحضاراتها وايهام لها بأن ليس هناك خيار يمكن ان تلجأ اليه سوى العولمة المزعومة ، والمطلع على مقولة " فوكوياما " إنه لا بد لشعوب العالم كافة من اللحاق بالحضارة الغربية، وان تتخلى عن خصوصياتها الثقافية، وأن تشرع فوراً في حركة تقليد ومحاكاة للمجتمع الرأسمالي لتحقيق التقدم والحداثة وتتخلص من المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية)[3] يلمس النظرة الاستعلائية والانحطاط الفكري والارتداد الحضاري إلى العصر الاستعماري القديم ما يشكل خطراً محدقاً بالحضارة وخصوصيات الثقافة للعالم كافة والاسلامي خاصة، كما يلمس ايضا اعتماد اصحاب

---

1 - على بن محمد العجلة: مصدر سابق ص 6.

2 - غازي دهمان: موقف الاسلام من صراع الحضارات ؛ صحيفة الدعوة الاسلامية، جمعية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد 812، 2002 ، ص10.

3 - البهلول منصور: مصدر سابق، ص 106.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه التأبيدات والقطعيات على القدرة التكنولوجية التي يملكونها لتمرير دعواهم ونشر ثقافتهم، ونسخ الثقافات والحضارات المغايرة، حتى انهم دعوا إلى الصدام معها في غرور غير مسبوق، يمكن ان يميز عصر العولمة خاصة الثقافية منها عن عصور الاستشراق التي استخدمت وسائلها الخاصة بها أنذاك، أو يمكن ان يقال إن الاستشراق عندما تملك الوسائل الحديثة قد أسفر عن وجهه وجاهر بالعداء وتوعد بنشر ما يريده و لم يعد في حاجة إلى الملاطفة والملاينة،

إذن " استطاعت التكنولوجيا ان تسهل عملية الاختراق عن طريق بث ثقافات مختلفة لشعوب مختلفة، بوسائل حديثة تجعل من الصعب التصدي لها (الضعف الذي يعانيه المقصود بالثقافة) مما يحول الهوية إلى اسطورة "[1] فكأن امتلاك الوسائل الجديدة دفع مالكيها للقول بالحتمية والدعوى إلى الصراع بدل الحوار وإن لم نكن ضد التقنيات المعلوماتيه والاتصال، التي جعلت العالم قرية واحدة اصبح الارتباط فيه بين الافراد سريعاً وميسراً، وهو جانب إيجابي، فإن محاذير استخدام هذه الوسائل، وتسخيرها في تشويه صورة الأخر، هو ما نخشاه، خاصة نحن لانمتلك الآلية المكافئة للرد على حركة التشويه .

كما أن الاستخدامات المنمقة كالديمقراطية، والأحزاب، وحقوق الإنسان، والعلاقات الدولية، ومفهوم الافراد، ومفهوم البشرية، والمجتمع الدولي الواحد، هذه كلها قد لا تكون نظيفة نظافة كلماتها، فالأهداف مازالت ذات الاهداف لم تتغير فهي السيطرة والمسخ والمحو والأزالة للاسلام منذ ان نادت بذلك كنيسة العصور الوسطى، لكن التكنولوجيا غيرت الأدوات والأسلوب فقط.

إن استخدام هذه الوسائل أدى إلى استحداث المنافسات الكونية كالألعاب الاولمبية، واعطاء الجوائز الكونية أيضاً، كجائزة "نوبل"، وأنتجت بعد الحرب العالمية الاولى فكرة "عصبة الامم".

---

1 – محمد الفرجاني حصن: مصدر سابق، ص 59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يخفى ما في هذا من دعوة للكونية التي هي الترجمة الثانيـــة للكلمـــة الانجليزيـــة (GLOPALIZATION)، فهذه الوسائل وغيرها مما تملكه (التكنولوجيا) حديثاً مـــسخره لخدمة الاهداف التي دعا اليها الاستشراق ولازالت تنفذ بوسائله الحديثة بدعوى العولمـــة او الكون الواحد قانوناً، واقتصاداً، وتجاراً وديناً، وحضارة، (فكان الفزف الامبريـــالي في بدايته قائماً على مقولات الاستشراق الاستعمارية في جوهرهـــا وثقافيـــة إنـــسانية في مظهرها)[1].

وبعد اتختلف العولمة عن الاستشراق أم أنها حلقة في سلسلة قد تكون بعدها حلقـــات أخرى ؟

---

1 - عبد الله احمد ابو راشد، العولمة في النظام العالمي والشرق اوسطية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا اللاذقية، ط أولى، 1999، ص 60.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com